وقفات مع تاريخ تهامة عسير في بعض الوثائق الإدارية والمالية والاقتصادية منذ الخمسينات إلى سبعينات القرن (١٤هـ /٢٠م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢ ـ ١٤٣٣هـ /٢٠١٠ ـ ٢٠١١م)، (الجزء الثالث)، ص ص ٢٤ ـ ٣٩ . (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠م)، ص ص ٢٢ ـ ٣٥ .

ومن خلال هذه الشذرات البحثية يتضح لنا أهمية بلاد عسير وخصوصاً حاضرتها أبها وبعض أجزائها التهامية التي تحوي الكثير من الأخبار والروايات المتنوعة والجديرة بالبحث والدراسة [١].

الورقة الأولى : وقفات مع تاريخ تهامة عسير في بعض الوثائق الإدارية والمالية والاقتصادية منذ الخمسينيات إلى سبعينيات القرن (١٤هـ/٢٠م)

بقلم : أ . د . غيثان بن علي بن جريس .

١ مدخل :

من المعلوم أن تهامة عسير إدارياً تخضع للظروف السياسية والإدارية التي كانت تتخذ من أبها عاصمة لها [٢]. وإذا عدنا إلى القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) نلحظ أنه تعاقب على عسير عدد من الإمارات والحكومات التي مدت نفوذها أحياناً إلى جازان وبعض نواحي اليمن جنوباً ، وإلى بلدان الحجاز شمالاً ، ثم لا يطول بها الزمن حتى تتراجع حدودها إلى منطقة عسير المعروفة في وقتنا الحاضر[٣] . ولهذا فإن جبال وتهامة عسير تاريخياً وإدارياً خضعت للظروف السياسية التي مرت بها عبر القرون الماضية المتأخرة . وما قصدناه في بحثنا هذا

---

(١) ربما يأتي اليوم الذي نرى بعض أبناء هذه البلاد يعكفون على التنقيب والبحث والتحليل عن تاريخ وثقافة وحضارة وفكر بلادهم ، ومن ثم يخرجون لنا عملاً موسوعياً يضيف جديداً إلى المكتبة العربية . وكم نحن في أمس الحاجة إلى ذلك في كل ناحية من نواحي بلادنا الغالية على قلوبنا جميعاً .

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ مدينة أبها بشكل خاص ومنطقة عسير بشكل عام ، انظر: ابن جريس ، أبها حاضرة عسير ، ص١٤ وما بعدها .

(٣) المصادر والمرجع نفسها . ومنطقة عسير اليوم تمتد على ساحل البحر الأحمر من قرية الصوالحة شمالاً إلى بلدة الحريضة جنوباً . وفي الجبل وعند سفوح جبال السروات تمتد من محافظات بيشة، وسبت العلايا ، والمجاردة شمالاً إلى ظهران الجنوب وتهامة قحطان والأطراف الجنوبية لمحافظة الدرب . مشاهدات الباحث وتنقلاته في هذه النواحي منذ أربعين عاماً .

لا يتعارض مع قلب تهامة عسير الرئيس ، والذي لازال على وضعه الحالي إلى الآن ، والممتد من تهامة بني شهر شمالاً إلى بلاد رجال ألمع الرابضة عند سفوح جبال أبها الشمالية الغربية [١].

وحواضر هذا الجزء التهامي العسيري (رجال ألمع ، محائل ، قنا والبحر ، بارق ، المجاردة) [٢] هي المقصودة في هذه الخلاصة البحثية . وسوف يكون جل حديثنا يدور على بعض الوثائق الإدارية والمالية والاقتصادية في هذه النواحي خلال سنوات متفرقة من الخمسينيات إلى سبعينيات القرن الهجري الماضي . والأسباب التي جعلتنا نفرد هذه الورقات لهذا الموضوع خلال تلك العقود يعود إلى أمور عدة ، من أهمها ، ما يلي :

أ ـــ تهامة عسير : وبخاصة البلاد المعنية في هذا البحث ، امتازت بالكثافة السكانية الكبيرة، بالإضافة إلى الاستيطان البشري الذي عرفته منذ عصور سابقة للإسلام ولازالت حتى اليوم[٣]. ناهيك عما تتمتع به هذه الأوطان من مقومات

---

(١) لازال هناك أجزاء من منطقة عسير الحالية خارج النطاق الذي أشرنا إليه أعلاه ، ولكن ما يقع بين المجاردة شمالاً ، ورجال ألمع جنوباً هو ضمن الجزء الرئيس لتهامة عسير، والتابع لمدينة أبها حاضرة عسير منذ قرون عديدة . وهذا الجزء هو مدار اهتمامنا في هذه الدراسة .

(٢) كل بلدة من هذه البلدان جديرة بالبحث والدراسة ، وتستحق أن يفرد لكل واحدة منها دراسة شافية ضافية ومستقلة . وأصحاب التخصصات النظرية في جامعة الملك خالد عليهم مسؤولية تجاه هذه النواحي وغيرها في منطقة عسير فتدرس من شتى الجوانب .

(٣) الذاهب في أرجاء هذه البلاد يلحظ الآثار العمرانية من منازل ، وطرق ، ومقابر، وأسواق أسبوعية ، وقرى متناثرة في أنحاء البلاد . ناهيك عن أعراف وثقافات وتقاليد ذات جذور تاريخية قديمة . وكل هذه الجوانب الحضارية جديرة بالتنقيب الأثري والبحث العلمي التاريخي الجاد. المصدر : مشاهدات الباحث وجولاته في هذه النواحي منذ أربعة عقود .

الحياة الحضارية الجيدة ، سواءً من حيث موقعها الجغرافي ، أو تنوع ثرواتها الاقتصادية المتنوعة.[١]

ب ـــ استنهاض العزائم عند أبناء هذه البلاد، وعند المؤرخين والآثاريين والجغرافيين واللغويين وأصحاب علم الاجتماع إلى أن يدركوا ما تتميز به بلاد عسير بشكل عام ، وتهامة هذه الديار بشكل خاص من المقومات البحثية الجديدة والبكر إن صح التعبير في أبوابها ومظانها المختلفة ولهذا فنحن نعول على أبناء هذه البلدان ، وبخاصة أصحاب الشهادات العليا والمتخصصين في مجالات عديدة أن يثروا بلادهم علمياً وبحثياً وهي – فعلاً – جديرة بذلك وتستحق الرعاية والخدمة العلمية والثقافية والبحثية الرصينة [٢] .

ج ـــ لدينا الرغبة منذ زمن طويل أن نفرد كتاباً علمياً مستقلاً عن هذه الناحية ، وذلك كما فعلنا مع نواحٍ عديدة في جنوبي البلاد السعودية [٣]. ولكن تراكم الأعمال العلمية علينا ، وانشغالنا بأبحاث وكتب أخرى حال حتى الآن دون إنجاز ما نتطلع إليه تجاه هذه البلاد الغالية عندنا ، ونرجو أن يتحقق ذلك في المستقبل . مع أنه يوجد في مكتبتنا عشرات المصادر والآلاف من الوثائق التي ترفدنا لإخراج عمل علمي جيد عن هذه الديار . وتحت هذه الرغبة وهذا الهاجس رأيت أن أسهم بجهد المقل في هذا السفر الذي بين أيدينا[٤]. وأخص

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) لقد قمت بجولات عديدة في كل من محائل عسير ، ورجال ألمع ، وبارق ، والمجاردة خلال العامين الماضيين (١٤٣٠ـ١٤٣١هـ/٢٠٠٩ـ٢٠١٠م) ، والتقيت ببعض أعيانها ووجهائها ، وتأملت في نموها الحضاري فوجدتها تسير في اتجاه جيد نحو التطور في شتى المجالات . كما لفت نظري وجود أعداد كبيرة من الجنسين الذين يحملون شهادات عليا في مجالات علمية ونظرية مختلفة ليخدموا أوطانهم علمياً وثقافياً وبحثياً .

(٣) مثل نجران ، والقنفذة ، ومكة المكرمة ، وعسير ، وأجزاء من بلاد جازان ، والباحة . وهذه المناطق ذات تاريخ سياسي وحضاري عريق وتحتاج إلى تضافر جهود الباحثين والمؤرخين لإخراج دراسات علمية أكاديمية عنها . ونأمل من إخواننا وأخواتنا المتخصصين في جامعات : الطائف ، والباحة ، والملك خالد ، وجازان ، ونجران أن يوجهوا بحوثهم تجاه هذه البلدان الغنية بفكرها وثقافتها وتراثها الحضاري المتنوع .

(٤) والموسوم بـ : القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير ونجران) . الجزء الثالث .

تهامة عسير المعنية في وقفتنا هذه ببعض المشاركة العلمية ، لعل ذلك يشد العزيمة عند بعض طلابنا أو طالباتنا في برامج الدراسات العليا بجامعة الملك خالد ، أو عند الدارسين أو المهتمين من أبناء هذه البلاد فيتوسعوا فيما سوف نشير إليه ، أو يعرجوا على بعض الموضوعات أو النقاط التي سوف أذكرها في خاتمة هذا القسم من هذا الكتاب [١] ، أو يدرسوا أي جانب أو محور علمي يعود بالنفع على تاريخ وحضارة هذه المنطقة التهامية[٢].

د ـــ بعد الاطلاع على حوالي مئة وعشرين وثيقة في مكتبتنا ، والتي لم يسبق لها النشر ، وجدنا جل مادتها تدور في فلك الباب الإداري والمالي والاقتصادي لهذه الديار التهامية خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وبعد مطالعتها والتأمل في تفصيلاتها رأينا استخلاص أهم ما ورد فيها ، وذلك من أجل اطلاع القارئ الكريم على سير بعض النظم الاقتصادية والمالية في هذه الأجزاء التي صارت ضمن كيان الدولة الكبير ، وحتى ندرك جميعاً ما استشعرت به الدولة من حرص على ضبط البلاد والعباد ، والسعي إلى توفير الأمن والرخاء والسير على طريق التحضر بهذه المجتمعات التهامية [٣].

٢ ماليات رجال ألمع ، محائل ، بارق ، المجاردة :

في وثيقة بتاريخ شهر المحرم (١٣٦١هـ) تشير إلى أسواق رجال ألمع ومأموري رسومها وحراسها مثل : محمد بن مسعود مأموراً للأسواق براتب

---

(١) انظر المحور السابع من هذا القسم والموسوم بـ: آراء ، تعليقات ، توصيات .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) والمتأمل والدارس لبلاد تهامة في القرون الماضية يجد ما مرت به من معاناة الفقر والجوع والجهل والمرض ، ومثل هذه الجوانب جديرة بالبحث والدراسة . ثم تحول وضعها في العصر الحديث والمعاصر ، وسادها الأمن والأمان ، وفاض على أهلها الخير ، وأصبحوا في أحسن حال اجتماعياً واقتصادياً وأمنياً وفكرياً وثقافياً . فلله الحمد والمنة على ما من به رب العزة والجلال على أهل البلد الحرام .

(٤٣٩,٥٠) قرشاً، ومعه من حراس الأسواق بلال بن أحمد، وأحمد بن علي بن عبشان، ومحمد تركي وراتب كل منهم (١٠٩,٥٠) قرشاً [١].

وفي وثيقة بتاريخ ذي الحجة (١٣٥٥هـ) تسرد أسماء مأموري وحراس مالية محائل ، وهم [٢] : سعيد بن محمد الغماز ، مأمور المالية براتب (١١٠٠) قرش، وعلي بن محمد المغيدي ، أمين الصندوق براتب (٤٤٠) قرشاً ، وعلي بن عبد الله ، مأمور الدمغة والأسواق براتب (٤٤٠) قرشاً [٣] ، وحسين بن عبد الله ، مأمور الفسوحات والمراقب براتب (٣٣٠) قرشاً ، وعبد الله سعلي ، شاويش الحرس، براتب ، (١٦٥) قرشاً [٤] ، ومحمد بن علي خولي ، وجابر بن علي بوظيفة حارس مباشر ، وراتب كل منهما (١١٠) قرشاً [٥]، وستة حراس آخرين هم : محمد بن مسعود ، وعلي دلاك ، وإبراهيم الدارس ، ويحيى بن يوسف، وإبراهيم حاجي ، ومحمد رشيد ، وراتب كل منهم (٨٨) قرشاً [٦] .

وفي شهر ذي الحجة (١٣٥٦هـ) نجد وثيقة تحوي أسماء موظفي مالية محائل السابق ذكرهم ما عدا حسين بن عبد الله ، مأمور الفسوحات الذي حل محله في

---

(١) المصدر: مكتبة د. غيثان بن جريس العلمية. الوثائق العامة (ق١٤هـ/٢٠م) ج٦٨، ص٢٤، ٢٥. في الحواشي التالية في هذا القسم سوف نرمز لهذه الحاشية (م. ابن جريس) ، ثم يدون الجزء والصفحة . ونلحظ في وثيقة بتاريخ شوال (١٣٥٣هـ) رصدها لواردات ومصروفات مالية رجال ألمع ، فكانت كل الواردات (٣٤٥٦,٣٥) ثلاثة آلاف وأربع مئة وستة وخمسين ريالا فرنسياً وخمسة وثلاثين قرشاً. والمنصرف(٥١٤,٢) خمس مئة وأربعة عشر ريالاً فرنسياً وقرشان . م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ٢٣ .

(٢) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٥٤ .

(٣) الدمغة : المقصود بها الختم. كان إجراء مالي إداري في فروع المالية والبلدية وغيرها وبخاصة في تباد البضائع والسلع فعندما تصل خطوات نقل السلعة إلى مكان معين في مكاتب المالية وغيرها يتم ختم إجراءاتها ، وهذا ما يعرف بالدمغة .

(٤) المصدر نفسه . وشاويش الحرس : أي رئيس حراس المالية .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص٥٤ /٥٤

الوظيفة نفسها إسماعيل بن محمد بدوي [١] ، وإبراهيم حاجي الذي ظهر بدلاً منه في عمل الحراسة ، شلبي بن محمد المغيدي [٢] . وفي شهر شوال ، وذي القعدة ، وذي الحجة (١٣٥٧هـ) يرد أسماء الموظفين السابقين ما عدا مأمور المالية ، سعيد الغماز ، الذي ظهر بدلاً منه عبد الله بن أحمد بدوي[٣] . ومعدي بن شويل صار أيضاً ضمن حراس المالية[٤].

وفي وثيقتين بتاريخ ربيع الأول والآخر (١٣٦٠هـ) تبين بعض موظفي مالية محائل ، وهم على النحو التالي[٥]: علي بن عبد الله بن خنفور ، مأمور الأسواق والدمغة والتخريجية [٦] براتب (٤٣٨,٥٠) قرشاً ، وجابر ومحمد ابني علي الخولي بوظيفتي مراسل وحارس مباشر وراتب كل منهما (١٠٩,٥٠) قرشاً ، وستة حراس رسوم أسواق هم : إبراهيم الدارس ، ومحمد علي أبو حيدر ، ومحمد بن محمد أبو راسين ، ومحمد بن رشيد ، ومحمد بن مسعود ، ويحيى بن يوسف ، وراتب كل واحد منهم (٨٧,٥٠) قرشا[٧] .

وفي صفر (١٣٦١هـ) تذكر أسماء الحراس السابقين ، بالإضافة إلى حارس آخر يدعى محمد التمامي[٨] . وهناك مأموران لأسواق محائل . الأول : خليل بن محمد براتب

---

(١) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص٥٥/٥٥ .

(٣) للمزيد انظر م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٥٦ . وفي وثيقة أخرى بتاريخ ربيع الأول عام (١٣٥٨هـ) يظهر سعيد الغماز وكيلاً لمأمور المالية في محائل ، المصدر نفسه، ج٦٨ ، ص٥٩.

(٤) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٥٦ ــ ٥٨ .

(٥) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٦٠ ــ ٦١ .

(٦) التخريجية : أي ورقة فسح أو جمركة السلعة أو البضائع . والدمغة والتخريجية غالباً متلازمة في أنها إجراءات البضائع التي يتم نقلها من مكان لآخر.

(٧) م. ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ٦١/٦١ .

(٨) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص٦٢ .

(٥٣٧,٥٠) قرشاً . والثاني: عبده شوكاني براتب (٤٣٩,٥٠) قرشاً [١] . وفي وثيقة بتاريخ شوال (١٣٦٢هـ) تشمل أسماء الموظفين المذكورين في الوثيقة السابقة ، ما عدا المأمور الأول ، خليل بن محمد ، بالإضافة إلى ظهور اسمين لحارسين آخرين هما: أحمد بن صالح، وحسن بن مشهف[٢] .

وفي خمس وعشرين وثيقة أخرى نلحظ دقة واردات سوق محائل وما يؤخذ على كل سلعة من رسوم خلال شهري المحرم وشوال عام (١٣٦٣هـ)[٣]. والجميل في هذه الوثائق توضيح اسم كل سلعة ، وأسعارها ، وصاحبها ، والناحية التي قدمت منها إلى أسواق محائل[٤].

وفي وثيقة أخرى بتاريخ جمادى الأولى (١٣٥٩هـ) تذكر موظفي مالية قنا والبحر[٥] ، وهم : علي بن حسن حازمي ، مأمور الأسواق وراتبه (٣٢٩,٥٠) قرشاً . وثلاثة حراس آخرين ، محمد فائع ، وصعب بن حسن ، ومحمد بن جابر وراتب كل منهم (١٠٩,٥٠) قرشاً[٦]. وفي شهر شوال (١٣٥٩هـ) توضح إحدى الوثائق[٧] واردات مالية قنا والبحر ، وتقدر بـ (١٨٦٠)قرشاً[٨]، وجل هذه الواردات تم تحصيلها

---

(١) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٦٢/٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٦٣ . وفي هذه الوثيقة أصبحت رواتب الحرس (١٣٦,٥٠) قرشاً شهرياً .

(٣) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٧٥ ــ ١٠٠ .

(٤) المصدر نفسه . كانت كثير من التجارات تصدر إلى أسواق محائل من جهات القنفذة ، والبرك ، والقحمة ، وجازان ، وعدن ، ورجال ألمع ، وبعض النواحي الداخلية والمجاورة لبلاد محائل . ومن خلال ما اطلعنا عليه من وثائق في العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) نلحظ تكامل النظام الاقتصادي الذي كان سائداً في البلاد آنذاك . وتلك الحقبة جديرة بالبحث والدراسة ، وهذه مسؤولية المؤرخين والباحثين المعنيين بدراسة ما اشتملت عليه وثائق ذلك العصر.

(٥) قنا والبحر من مراكز محافظة محائل اليوم وتبعد الأولى عن مدينة محائل تجاه الغرب حوالي (٣٥) كيلاً ، والثانية (٣٥) كيلاً . مشاهدات الباحث خلال شهر صفر عام (١٤٣١هـ/٢٠١١م) .

(٦) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ١٠٣ .

(٧) هذه الوثيقة تحت توقيع مأمور أسواق قنا والبحر . المصدر: م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص١٠٤ .

(٨) المصدر نفسه . وفي ست وثائق أخرى بعض التفصيلات عن واردات مالية قنا والبحر خلال شهر شوال (١٣٥٩هـ) . م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص١٠٤ .

من رسوم الدمغة، والتخريجية للحبوب وما شابهها ، والأسـواق ، وفـسوحات بيـع الدخان الأخضر[١].

وهناك وثيقة بتاريخ شعبان (١٣٥٩هـ) تشير إلى موظفي مالية بارق ، وهم: أحمد بن سالم مروعي ، مأمور المالية براتب (٣٨٤,٥٠) قرشاً ، ومعه ثلاثة حراس هم: محمد بن مسلط ، وعبده بن إبراهيم بكري ، وفائز بن مصبح براتب (٦٥,٧٥) قرشـاً لكل منهم [٢]. وفي وثيقة أخرى بتاريخ ذي القعدة من العام نفسه يظهـر الموظفـون السابقون بالإضافة إلى حارس آخر هو محيى الدين بـن عبـده[٣]. وفي ربيـع الآخـر (١٣٦٢هـ) كان علي بن عبد الله بن خنفـور مـأموراً لأسـواق بـارق براتـب (٥٣٦,٥٠) قرشاً [٤] ، ومساعده عبد القادر عداوي براتب(٤١١,٥٠) قرشـاً [٥] ، ومعه ثلاثة حراس، هم: فائز بن مصبح ، وعبده إبراهيم بكري ، ومحمد بن مـسعود ، وراتب كل منهم (١٣٦,٥٠) قرشاً [٦].

وفي وثيقة بشهر ذي الحجة عام (١٣٦٠هـ) تشير إلى موظفي أسواق قمامـة بني شهر[٧]. وهم : أحمد بن محمد بدوي مأمور للأسواق براتب (٥٣٦,٥٠) قرشـاً .

---

(١) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ١٠٤ . وكانت سلعة الدخان من السلع الرائجة في أسواق بلاد عسير وما جاورها .

(٢) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ج ١٦٨ ، ص١١٤ . لم يظهر الحارس فائز بن مصبح في هذه الوثيقة . المصدر نفسه .

(٤) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ١١٥ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٦٨ ، ص ١١٥/١١٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ج ٦٨ ، ص ١١٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ١٢٣ . وهنا تم الإشارة إلى قمامة بني شهر، ومن المعلوم أن هذه الديار تشمل بلاد المجاردة ، وخاط ، وثربان . كما أن هناك وثيقة أخرى في عام (١٣٦٠هـ) تذكر أسواق المجاردة ، وليس قمامة بني شهر كما ورد في الوثيقة السابقة ، وذكر أن مأمور سوق المجاردة عبد القادر عداوي براتـب (٢٧٣,٥٠) قرشاً ومعه من الحراس محمد بن عبد الوهاب، وعلي بن مسعود ، ومرعي بن علي براتب (٦٤,٥٠) قرشاً لكل واحد منهم . م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ١٢٣ /١٢٣ .

وثلاثة حراس هم : محمد بن عبد الوهاب ، ومحمد بن أحمد عداوي ، وعلي بن مسعود براتب (١٠٩,٥٠) قرشاً لكل منهم[١].

٣ التربية والتعليم :

وصل التعليم النظامي إلى بلدان رجال ألمع ومحائل وما حولها منذ خمسينيات القرن الهجري الماضي[٢]. وقد اطلعنا على العديد من الوثائق التي تبين بعض النشاطات التعليمية في هذه النواحي منذ ستينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) [٣] .

هناك سبع وثائق ترصد أسماء ورواتب مدرسة رجال ألمع من شهر ذي الحجة (١٣٦٠هـ) [٤]. ففي عام (١٣٦٠هـ) كان مدير المدرسة محمد عمر رفيع براتب (٧٣٤,٥٠) قرشاً [٥]. والأستاذان عيسى فهيم ، وعبد الله المدني براتب (٤٣٩,٥٠) قرشاً لكل واحد منهما[٦]. ومراسل واحد براتب (١٤٩,٥٠) قرشاً [٧].

---

(١) المصدر نفسه . وفي وثيقة يعود تاريخها إلى شهر صفر (١٣٥٣هـ) تشير إلى واردات مالية المجاردة التي تقدر بـ (٢٠٧) مائتين وسبعة ريالات فرانسة ، والمصروفات بـ (١٩٣) مائة وثلاث وتسعون ريالاً فرنسياً . وهذه الوثيقة تحت توقيع مأمور رسوم المجاردة ، عبد القادر عداوي . م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص١٢١/١٢١ .

(٢) للمزيد عن بدايات التعليم النظامي في منطقة عسير ، وكيف نالت رجال ألمع ومحائل حظاً جيداً من التعليم منذ خمسينيات القرن (١٤هـ/٢٠م) . انظر ،غيثان بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ) (جدة : دار البلاد للطباعة ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ص٥٩،٥٨ . الجزء الاول.

(٣) المصدر نفسه . وللمزيد انظر ، م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٢ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٢-٤ . وللمزيد من التفصيلات عن الأستاذ محمد رفيع انظر: ابن جريس ، تاريخ التعليم في منطقة عسير ، ج١ ، ص ٢٥٤ - ٢٥٦ ، وانظر أيضاً رفيع : في ربوع عسير ، ص ٢٨ وما بعدها .

(٦) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ٢-٤ . للمزيد عن الأستاذين عيسى وعبد الله المدني انظر: ابن جريس ، تاريخ التعليم ، ج١ ، ص ٥٥، ٢٥٢ ، ٢٥٤ .

(٧) م. ابن جريس ، ج ٦٨، ص ٦٨، ص٤-٦ .

وفي شهر صفر (١٣٦٤هـ) نجد عيسى فهيم مديراً للمدرسة براتب (١٣٤٥) قرشاً، ووكيل المدرسة موسى بن ناصر ، الذي لم يدون مقدار راتبه في الوثيقة[١]. وحسين كردي، معلم درجة أولى[٢] ، براتب (٨٠٦,٥٠) قرشاً ، ومحمد الهلالي ، وإبراهيم شماس ، معلمي درجة ثانية ، براتب (٦٧٢,٥٠) قرشاً لكل منهما [٣] . وعلي يوسف ، وكيل معلم درجة أولى بربع راتب وقدره (١٩٩,٥٠) قرشاً ، والمراسل أحمد بن علي عسيري براتب (٢٤٩,٥٠) قرشاً[٤] .

وفي وثيقة يعود تاريخها إلى شهر شعبان (١٣٦٠هـ) تشير إلى أسماء ورواتب معلمي مدرسة محائل[٥] ، وهم: عبد الله الحكمي، مدير المدرسة ، براتب (٥٣٦,٥٠) قرشاً[٦]، وعبد الله علي ، ومحمد الهلالي معلمين بالمدرسة وراتب كل منهما (٤٣٩,٥٠) قرشاً ، ومحمد مفرح ، مراسل وراتبه (١٠٩,٥٠) قرشاً[٧]. وفي عام

---

(١) المصدر نفسه ، ج٦٨، ص٨/٨/ . وللمزيد عن حياة الأستاذ موسى بن ناصر ، انظر ، ابن جريس ، تاريخ التعليم ، ج ١ ، ص ٢٤٤ .

(٢) كان المعلمون قديماً لهم درجات ومسميات مثل : معلم أول ، معلم ثاني ، وكيل معلم ، وهكذا .

(٣) م . ابن جريس ، ج ٦٨ ، ص٨/٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٦٨، ص٨/٨/ . وفي وثيقة بتاريخ جمادى الأولى (١٣٦٤هـ) نجد أسماء المدرسين آنفي الذكر في الوثيقة السابقة ، إلا أن إبراهيم شماس وحسين كردي لم يكونا موجودين في المدرسة ، وهناك معلم آخر حل محل حسين كردي على الدرجة الأولى ، وهو درويش عثمان . م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ٧/٧ .

(٥) للمزيد عن بدايات التعليم النظامي في محائل ، انظر: ابن جريس ، تاريخ التعليم ، ج١ ، ص ٥٨.

(٦) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ٦٤ . للمزيد عن الأستاذ الحكمي انظر: ابن جريس ، تاريخ التعليم، ج١ ، ص ٥٨، ٢٥٠ـ٢٥٢ . انظر أيضاً ، للمؤلف نفسه .القول المكتوب في تاريخ الجنوب (عسير أنموذجاً) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ج١ ، ص٣١ .

(٧) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٦٤/٦٤ .

(١٣٦١هـ) نجد المعلمين أنفسهم الذين سبق ذكرهم في العام السابق[١] . وفي عام (١٣٦٢هـ) مكث المعلمون على وضعهم ، ما عدا مراسلاً جديداً يدعى محمد العبيدي، حل محل المراسل السابق[٢]. أما الرواتب فقد ارتفعت قليلاً ، حتى صار راتب المدير (٦٧٩,٥٠) قرشاً، والمعلمين (٥٣٧,٥٠) قرشاً، والمراسل (١٣٦,٥٠) قرشاً [٣].

٤ مؤسسات إدارية أخرى :

هناك بعض المؤسسات الإدارية في تهامة عسير ، والتي عثرنا على بعض وثائقها التي تشير إلى شيء من تاريخه ففي ثلاث وثائق تعود إلى أعوام (٥٦،٥٥، ١٣٥٧هـ) تذكر أسماء بعض أخوياء إمارة محائل ، ورواتب بعضهم خلال شهري ذي القعدة وذي الحجة والبالغة (٢٧٥) قرشاً لكل فرد [٤]. وآخرون في الفترة نفسها (٢٢٠) قرشاً للموظف الواحد [٥] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٦٨، ص٦٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٦٨، ص٦٧/٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ٦٧/٦٧ . إن الأسعار والأجور والرواتب خلال العقود الوسطى من القرن (١٤هـ/٢٠م) جديرة بالبحث والدراسة . وهناك وثائق كثيرة جداً في وزارة المالية ، ومركز المحفوظات ، حبذا أن نرى أحد الباحثين الجادين يتولى هذا الموضوع بالبحث والدراسة والتحليل .

(٤) من أولئك الأخوياء : سلمان بن ماجد ، وفهد الصعبي ، وسالم بن موتان ، ومحسن الصالح ، وأحمد بن فهاد ، ومحمد بن فهاد ، وحميس بن عبد الله وغيرهم . المصدر: م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٧٠ .

(٥) ومن الأخوياء الذين كانوا يتقاضون(٢٢٠) قرشاً خلال شهري ذي القعدة وذي الحجة (١٣٥٧هـ). محمد بن حبيب ، وعلي بن عيد ، وحسين الجماعي ، وطرخم بن سلطان ، وخليل الواهبي ، وعثمان بن داغر وغيرهم . المصدر: م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٧٠/٧٠ .

وفي وثيقة بتاريخ (١٣٥٧هـ) توضح رواتب وأسماء أحوياء إمارة بارق خلال شهري ذي القعدة وذي الحجة[١] أيضاً وهم: عبد الله العسعوس ، ومحمد أبو معيلي ، وعيد آل عبد الله ، وراتب كل منهم (٢٧٥) قرشاً خلال الشهرين الآنفي الذكر[٢] .

وفي وثيقة بتاريخ صفر(١٣٧٤هـ) أسماء بعض موظفي المحاكم في أجزاء من بلاد عسير ، ومن بينهم كاتب عدل رجال ألمع ، محمد بن إبراهيم بن مطاعن براتب شهري وقدره (٤٨٨١) قرشاً [٣] . ووثيقة أخرى تعود إلى جمادى الأولى (١٣٥٧هـ) تورد أسماء عدد من رجال الهيئة (المطاوعة)[٤] في رجال ألمع مثل: محمد الحفظي ، عضو هيئة البتيلة ، وأحمد بن الحسن عضو الهيئة بعثالف ، وإبراهيم بن حسن مطوع الشعبين ، ومنصور طيران ، وإبراهيم الزمزمي المطوعين ببلدة رجال ، ويبدو أن رواتبهم جميعاً متساوية وتقدر بـ (١١٦٨) قرشاً لكل واحد منهم [٥] بالإضافة إلى موظف آخر في رجال ، هو: الحسن بن علي الحفظي وراتبه (١١٠٠) قرش[٦] . والمؤذنان : عبد الخالق بن سليمان بمسجد عثالف ، وإبراهيم بن فائع بمسجد رجال ألمع وراتب كل منهما (٨٢٥) قرشاً[٧] . وفي شهر جمادى الآخرة (١٣٧٥هـ) تظهر الأسماء الواردة في الوثيقة السابقة بالإضافة إلى محمد بن أحمد ، ومحمد بن يحيى البناوي اللذين كانا ضمن مطاوعة رجال ألمع[٨] .

---

(١) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ١١١ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص١١١/١١١ . وهناك خوي آخر يدعى عبد الله بن أحمد وراتبه (٢٢٠) قرشاً خلال الفترة نفسها . المصدر نفسه .

(٣) م . ابن جريس ، ج ٦٨ ، ص١٠/١٠ .

(٤) المطاوعة : مصطلح ورد في الوثيقة ويطلق على من يمارس مهنة الدعوة مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإمامة الناس في جمعهم وجماعاتهم وغيرها من النشاطات الدعوية الأخرى .

(٥) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص١١/١١ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ١٢/١٢ . تاريخ الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في منطقة عسير بخاصة ومناطق الجنوب بعامة جديرة بالدراسة . ومثل هذا الموضوع يستحق أن يكون رسالة دكتوراة ، أو كتاب علمي موثق وبخاصة خلال القرنين (١٣ـ١٤هـ/١٩ـ٢٠م) . وآمل أن نرى من طلابنا أو طالباتنا من يتخذ هذا العنوان موضوعاً لأطروحته العلمية .

ووثيقة تعود إلى شهر رجب (١٣٧٥هـ) تذكر أسماء رجال الهيئة والقائمين بالدعوة في محائل : مثل: عبد الله بن زيد في ترقش ، وعلي أبو طالب بآل فاهمة ، وأحمد سبعان بالفريحة ، وأحمد الحكمي بالريش ، ومحمد بن أحمد ببلدة محائل ، وعلي محمد إبراهيم مطوع أحداث محائل ، وعبد الله بن هادي بالوعد . وراتب كل واحد من هؤلاء الدعاة (المطاوعة) (١١٦٨) قرشاً ، بالإضافة إلى مؤذني مسجدي محائل والوعد وراتب كل منهما (٨٢٥) قرشاً[١] .

وفي وثيقتين في شهري شعبان وربيع الأول (١٣٧٥هـ) تذكر مطوعي قنا والبحر، وهما: جابر الأسلمي[٢] ، ويحيى الثوباني ، وراتب الأول (١١٠٠) قرش ، والثاني (١١٦٨) قرشاً للشهر الواحد[٣] .

ونجد وثيقة بتاريخ ربيع الآخر (١٣٧٤هـ) تذكر أسماء رواتب محكمة بارق، وهم : الشيخ محمد بالقاسم ، وكيل قاضي بارق ، وراتبه (٣٦٣٥) قرشاً [٤] . وناصر بلغيث ، كاتب عدل المحكمة براتب (٤٨٨١) قرشاً[٥] . وأبو بكر الشريف فراش المحكمة براتب (١٦٥٠) قرشاً ، وعبد الله بن هيازع ، مقدر شجاج[٦] ، براتب (١٧٠٥) قرشاً ، وعبد الله بن زعبان ، عضو الهيئة ببارق ، براتب (١١٦٨) قرشاً ، وعائض بلغيث مؤذن براتب (٨٢٥) قرشاً ، ومحمد بلقاسم مطوع ببارق براتب (١١٠٠) قرش[٧] .

---

(١) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ٦٨/٦٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ١٠١ .

(٣) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ١٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٦٨ ، ص ١١٩ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) مقدر الشجاج : أي مقدر الغرامات المالية على من يتسبب في إصابة أحد بأذى وينتج عن ذلك جروح أو إصابات بدنية أثناء الصدامات والصراعات بين المتخاصمين .

(٧) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص ١١٩/١١٩ . وفي وثيقة بتاريخ رجب (١٣٧٥هـ) تشير إلى مطاوعة بارق وتذكر كل من ابن زعبان ، ومحمد بلقاسم ، وعائض بلغيث المذكورين في الوثيقة السابقة و بالراتب المذكور أعلاه . م . ابن جريس ، ج ٦٨ ، ص١٢٠ .

٥ صورة من النشاط الإداري التجاري في رجال ألمع :

لعبت بلاد رجال ألمع دوراً سياسياً وحضارياً خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) والفاحص لما ورد عنها في المخطوطات والوثائق ، التي لم تر النور إلى الآن ، يجد مصداقية ما أشرنا إليه . وآمل من أبنائها ، أو من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ. بجامعاتنا المحلية أن يبحثوا في أدوارها التاريخية المختلفة خلال القرنين الآنفي الذكر. ومن يقدم على دراسة أحوالها السياسية ، والعلمية والجوانب الحضارية الأخرى فلن يخفق بإذن الله تعالى ، لما تحويه دور الأراشيف المحلية والعالمية وبخاصة في تركيا وبعض الدول الأوروبية مثل : إيطاليا وبريطانيا [١] اللتان تقتنيان آلاف الوثائق والمذكرات والمدونات التي تصور تاريخ هذه الناحية ، التي كانت من أهم حلقات الوصل بين مرتفعات عسير وسهول وسواحل تهامة الممتدة من مكة المكرمة إلى عدن[٢] .

وسبب إدراجي هذا العنصر وهذا التمهيد المختصر ، هو ما عثرت عليه من الوثائق الاقتصادية وبخاصة في مجال التجارة ، فلقد رأيت في عجالة أثناء إعداد هذا الكتاب مئات الوثائق التي تسرد السلع التي كانت تصدر إلى بلاد رجال ، ومن هذه الناحية يتم تصديرها إلى بلدان عديدة في منطقة عسير وخارجها [٣] ، وحتى لا يطول

---

(١) كانت دولتي إيطاليا وبريطانيا من دول أوروبا اللتان صالتا وجالتا في البحر الأحمر خلال القرنين (١٣ــ١٤هـ/١٩ــ٢٠م) ، بل كانتا على صلات مع أهالي تهامة والسراة ، وبلاد ألمع من الأوطان التي ورد ذكرها كثيراً في وثائق ومدونات هاتين الدولتين ، والجديرة بالاطلاع والدراسة والتحليل .

(٢) توصية قوية أوردها في هذه الدراسة ، وأتحمل مسؤوليتها لاطلاعي على الكثير من تراث هذه البلاد خلال تجوالي داخل المملكة العربية السعودية وخارجها خلال الأربعة العقود الماضية ، وآمل من طالباتنا وطلابنا الجادين أن يعالجوا في بحوثهم العلمية مثل هذه المواضيع التي تتعلق ببلدان غنية بتاريخها والذي لم يظهر منه شيء حتى الآن .

(٣) يوجد ضمن مكتبتنا مئات الوثائق التجارية التي تصور أهمية بلاد رجال ألمع في المجال الاقتصادي ، وكيف كانت تمثل حلقة وصل لنقل البضائع ما بين بلاد تهامة والسراة . ونتطلع في يوم ما إلى إفراد دراسة علمية مستقلة عن هذه الناحية ، وما قام به أهلها من إنجازات حضارية متعددة الجوانب .

بنا الحديث فإنني أشير إلى أنموذج بسيط من هذه الوثائق . ففي حوالي خمس وعشرين وثيقة بتواريخ متعددة في عامي (١٣٥٢، ١٣٥٣هـ) ترصد قوائم سلع كثيرة كانت تصدر من عدن ،وجازان ، وصبيا، والقحمة ، والبرك ، والقنفذة إلى بلدة رجال[١] . ثم يجري لها تنظيم دقيق من وقت استقبالها ، ومطابقة كل سلعة مع ما هو موجود في الكواشين (قوائم البضائع) المرفقة مع كل سلعة [٢] . وعند تطابقها يتم فسحها من قبل مفتش البضائع في رجال ألمع [٣] . وجميع الفسوحات التي تصدر من المفتش تكون موجهة إلى مدير أموال ورسوم رجال ألمع ، ثم يقول" بعد التحية : قد صار التفتيش على البضائع المحررة المشروحة بعاليه حين ورودها فوجدت حسب مفرداتها وأنواعها المشروحة بعاليه ، ولأجل اطلاعكم على محتوياتها للعمل بما يلزم نحو ذلك ... " [٤] ثم يدون تاريخ كل ورقة مفسوحة بعد هذه العبارة [٥] ويتضح لنا من هذه الآلية الإدارية ، عدة أمور نجمل أهمها في النقاط الآتية :

أ ـــ دقة الضبط الإداري الذي كان سائداً في بلاد رجال ألمع وغيرها ، مع الحرص على حفظ حقوق الناس (تجاراً أو زبائن ، أو من له علاقة بسير الحركة التجارية ونقل التجارات من مكان لآخر) .

---

(١) م . ابن جريس ، ج٦٨ ، ص٣٨ـــ٥٢ . ونلحظ تنوع تلك البضائع من سلع الألبسة والزينة ، إلى أطعمة وأشربة عديدة ، ناهيك عن سلع أخرى متنوعة وتستخدم في أغراض ومهن عديدة .

(٢) ويظهر على كل قائمة اسم البضاعة ، وصاحبها ، واسم الجمال الذي نقلها ، وأحياناً الرسم الذي أخذ عليها ، مع الإشارة إلى وزن أو مقدار كل سلعة ، ثم تاريخ رصدها . م . ابن جريس ، ج٦٨، ص ٣٨ـــ ٥٢ . وهذه الوثائق جزء يسير جداً مما تم الاطلاع عليه في هذا الباب ، والجدير بالبحث والتقصي والتحليل .

(٣) ومفتش رجال في الخمسينيات من القرن (١٤هـ/٢٠م) عبد الله بدوي . وكان يدون قبل اسمه (مفتش البضائع برجال) أو (مأمور التفتيش لبضائع رجال ألمع). م .ابن جريس، ج ٦٨، ص ٣٨ وما بعدها .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

ب ـــ ظهور اسمي مفتش البضائع ، ومدير الأموال والرسوم على كل قائمة سلع يؤكد على حرص المسؤولين على سلامة البضائع ، وعدم نقل سلع غير مسموح بهـــا ، وعدم وجود أي وسيلة للتحايل أو إهدار حقوق كل الأطراف . بالإضـــافة إلى جباية الرسوم على كل سلعة ، ومن ثم إرسالها إلى الإدارة المالية في رجال ألمع ثم إلى الإدارة الرئيسة في أبها [١]

ج ـــ نشاط أسواق رجال ألمع التي كانت ترد إليها السلع من كل مكان ، بل يرد إليها التجار من تهامة والسراة ، كي يحصلوا على ما يحتاجونه من تجارات تـــصدر إلى أسواقهم المحلية .

د ـــ من خلال النشاط التجاري الذي كانت تعيشه بلاد رجال ألمع لابد أن ذلك أثـــر على حياة الناس اقتصادياً واجتماعياً . فوصول كثير من السلع إلى بلادهم يجعـــل بعض أهل البلاد يشاركون في الحراك التجاري السائد في البلاد ، ومن ثم تتحسن أوضاعهم ومصادر أرزاقهم . أما في المجال الاجتماعي فمن المؤكد أنهم خـــالطوا أقواماً وفدوا إليهم من نواحٍ أخرى ، ومن ثم رأوا أو أثروا وتأثروا ببعض الأنماط الاجتماعية من حيث اللهجة ، أو اللباس والزينة ، أو الطعـــام والـــشراب ، أو عادات وتقاليد وأعراف أخرى [٢] .

---

(١) كانت إدارة مال أبها هي الإدارة الرئيسة التي تراجعها كل ماليات عسير ، ثم الجنوب عامة ، وكـــان عبد الوهاب أبو ملحة ، هو رئيس ماليات الجنوب . في مكتبة الباحث مئات الوثائق التي تؤكد ذلك، كما أن هناك سفر كبير سوف يصدر قريباً عن الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة وما قدمه مـــن جهـــود وخدمات كثيرة على مستوى الجنوب ، بل على مستوى المملكة العربية السعودية .

(٢) من يدرس بلاد رجال ألمع أو من كان في حكمها على صلة بوافدين أو تجار وغيرهم فإنه يجد أثراً للتـــأثير والتأثر بين أهل البلاد ومن اختلط بهم من خارج منطقتهم . وهذا أمر لمسته بنفسي أثناء تجوالي في نواحي عديدة من جنوبي البلاد السعودية مثل : نجران ، وبيشة ، وأبها ، وخميس مشيط ، ومحائل ، ورجال ألمـــع ، وصبيا ، وجازان ، والبرك ، والقنفذة وغيرها . وكل هذه الأوطان جديرة بالبحث والدراسة فهي جديدة في أبوابها ومجالاتها البحثية.